الأهرام

المصدر: الاتحاد

التاريخ : ١٢ مـارس ٢٠٠٥

لبنـــان: الحالـــة الفريـــدة

غازي العريضي

لبنان قبل اغتيال الرئيس الحريري شيء وبعد اغتياله شيء آخر... ولبنان قبل خطاب الرئيس الأسد شيء وبعده شيء آخر، أما التمسك بسياسة «تكسير الرؤوس» فهو تكسير للبنان والسلطة تتحمل المسؤولية.

أشارت المظاهرة التي دعت إليها "الأحزاب الوطنية" في لبنان وكان عمادها حضوراً وتنظيماً وأمناً "حزب الله" الكثير من التساؤلات والمواقف، إن لجهة الحشد والتضخيم الذي رافق تقدير عدد المشاركين وهو بالتأكيد كان عدداً كبيراً غير مسبوق في تاريخ التجمعات والمظاهرات في لبنان أو لجهة الخطاب السياسي الذي ألقاه الأمين العام للحزب السيد حسن نصرالله.

وبعيداً عن العواطف والمشاعر والمواقف المسبقة، فإن المقاربة الموضوعية يجب أن تدخل إلى عمق الخطاب، وإلى جانب الأهداف السياسية من وراء المظاهرة. فهي جاءت لتقول إن الانسحاب السوري من لبنان سيتم بشكل مشرّف. وإنه ليس صحيحاً أن ما صدر من تعليقات وكلمات خرجت عن الأصول تجاه سوريا وتم تعميمها على كل وسائل الإعلام من قبل بعض الشباب اللبناني إنما يعبّر عن رأي اللبنانيين.

لا. فاللبنانيون يريدون خروج سوريا ولكنهم لا يريدون تصويرها وكأنها مهزومة. كما أنهم لا يتنكرون لدورها وإنجازاتها في لبنان إن لجهة وقف الحرب وحل الميليشيات وبناء المؤسسات وإرساء السلم والاستقرار في البلاد، أو لجهة الدور المميز في دعم المقاومة والمساهمة في تحرير الأرض من الاحتلال الإسرائيلي. إذاً، كلمة الشكر لسوريا على هذا الدور تقال باسم غالبية اللبنانيين في الموالاة والمعارضة.

بهذا المعنى وقرت المظاهرة مع غيرها من مواقف القوى الأخرى غطاءً مشرّفاً للانسحاب السوري، وحققت نوعاً من التوازن الإعلامي والميداني والشعبي والسياسي مع المعارضة التي كانت تمسك بكل مفاصل المبادرة في هذه المجالات لمدة أسابيع في لبنان. إلا أن الأهم هو مضمون الخطاب السياسي وموقع حزب الله. لقد بدا واضحاً أن الحزب انخرط انخراطاً كاملاً في الحياة السياسية الداخلية بعد أن كان قد ابتعد عنها لسنوات متجنباً خلافات قد تنعكس على الإجماع حول المقاومة. اليوم بدخوله هذا، وعلى قاعدة الخطاب الأخير، لم يعد بإمكانه تجنيب المقاومة تساؤلات، تؤثر على الإجماع حولها، وخصوصاً أن الدفاع عن السلطة والنظام والحكومة، في معرض انتقاد المعارضة التي "تريد إسقاط النظام والسلطة وتمنع قيام مشروع الدولة بالتظاهر أو الاعتصام أو الشالات" كما قال السيد نصرالله، لم يأت في سياق متكامل ليحمّل الدولة والنظام مسؤوليات عما جرى ويجري. بمعنى آخر، جاء الكلام عاماً، وفهمه كثيرون على أنه حماية للنظام والسلطة!

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

من هي السلطة؟ هي مجموعة من الحاكمين، أوصلوا البلاد إلى ما هي عليه. وغالبيتهم مدانة ومتهمة وبالتالي لا يمكن تحمّل نتائج ممارساتها. فالسلطة اليوم هي السلطة نفسها التي تتحمل مسؤولية ما جرى في الضاحية الجنوبية في بيروت منذ أشهر يوم أطلقت النار على تجمعات ومظاهرات نقابية وسقط عدد من القتلى والجرحى، وأقفل التحقيق بتسوية كي لا تتفاقم الأمور، واتهم "حزب الله" يومها أجهزة ومسؤولين بالتقصير. والسلطة نفسها اليوم هي المسؤولة عن التدهور وهي موضع انتقاد في أدائها وسياساتها وتوجهاتها من قبل حزب الله وغيره في لبنان ومن قبل مسؤولين فيها حتى! لذلك فإن المعارضة تريد إسقاط هذا النوع من الممارسات، وهذا النوع من السلطات، أو هذا الفريق داخل السلطة، لترفع لبنان ولترفع قضايا اللبنانيين إلى الأولوية في دوائر المتابعة والحركة السياسية في لبنان.

وأعتقد أن توضيح مثل هذه النقطة واستكمال الخطاب بعدم التعميم في الكلام يبدو ضرورياً لحماية الموقف العام لحزب الله الذي من الطبيعي أن يتطلع الناس إلى موقعه ودوره المستقبلي انطلاقاً من عدم أحقية أحد في صرف رصيده، كما في صرف رصيد سوريا في لبنان، وصرف جهاد الوطنيين في لبنان لغايات خاصة، وللانحراف بالعلاقات اللبنانية - السورية التي تقع ضحية هذه الممارسات وهذا ما حذر منه الرئيس السوري بشار الأسد في خطابه الأخير.

فهل يمكن أن يتحول الدفاع عن السلطة والنظام، أو التركيز على حمايتهما ومنع سقوطهما، دفاعاً عن مجموعة منتفعين وحماية لهم على حساب "المليون ونصف" الذين اجتمعوا في بيروت وعلى حساب كل اللبنانيين أيضاً؟ لا أعتقد أن هذا الأمر هو في حسابات "حزب الله" المتضرر الأكبر من مثل هذه السياسات سابقاً والمهدد باستمرارها أكثر من غيره لاحقاً.

وإلى جانب هذا الأمر فإن موقفاً مهماً أعلنه السيد نصرالله عندما قال: "إن لبنان حالة فريدة".

نعم، التنوع في لبنان فريد من نوعه في المنطقة ويجب المحافظة عليه. وبهذا المعنى ليست المسألة مسألة أكثرية وأقلية. وهذه نقطة جوهرية في كل الحسابات. فلا "يستطيع أحد أن يلغي أحداً. ولا يستطيع أحد أن يفرض خياره على أحد". و"لا يستطيع أحد أن يعزل أحداً..." كما قال السيد نصرالله.

ماذا يعني هذا الكلام؟ يعني أن التوازن ضروري في لبنان وأن الوفاق أساس. ولا يقيم الوفاق إلا العاقلون والقادرون والفاعلون. والسلطة في لبنان لا تقدر على ذلك لأن من فيها لا يتميز بهذه الصفات ولا يمكن الدفاع عنهم. ومع ذلك، أقول إن مثل هذه القاعدة، هي الأساس في التطلع إلى الأمام، وأعتقد أن ثمة إمكانية لتسوية وإنتاج حكومة اتحاد وطني على هذا الأساس لا سيما وأن مطالب المعارضة في هذا المجال ليست مستعصية. فالمطالبة بالانسحاب ووقف تدخل المخابرات هما ضمن الطائف الذي أعلن الرئيس السوري والسيد نصرالله باسم كل المحتشدين التمسك به. كذلك فإن التحقيق الشفاف المطمئن النزيه في مقتل الشهيد الرئيس رفيق الحريري، يحظى بإجماع. لكن الوصول إليه يقتضي تسليمه إلى من هو موثوق. المعارضة وغالبية اللبنانيين وبعض المسؤولين في الدولة يعترفون بتقصير بعض الأجهزة الأمنية وبعض القضاة في الموضوع، وبالتالي فإن المنطق يقول بإبعادهم، فهل في ذلك تعجيز، أو تعقيد من قبل المعارضة، أو تنازل من قبل السلطة التي يندرج هذا الأمر في صلب واجباتها؟.

مرة جديدة أقول: لبنان قبل اغتيال الرئيس الحريري شيء... ولبنان بعد اغتياله شيء آخر.

ولبنان قبل خطاب الرئيس الأسد شيء... وبعده شيء آخر.

هكذا يجب أن تكون الأمور وعلى أساسها تكون القرارات والممارسات. أما التمسك بسياسة العناد والتحدي وتكسير الرؤوس، فهو تكسير للبنان، والسلطة تتحمل المسؤولية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية